تعريف رسائل النور للعمل الإيجابي وشمول معناه

الدكتورجمشيد أحمد الندوي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة ممبائي، ممبائي، الهند

إن العالم الإنساني يمر اليوم بأصعب أدواره من حيث الخُلُق والأقدار والقيم الإنسانية و المجتمع البشري يواجه المشاكل والمصاعب العديدة مثل الجوع والفقر والظلم الإجتماعي و التلوث البيئي وكل منها تحتاج إلى العلاج بالدقة.

إن أعمال كل إنسان ينقسم إلى قسمين فهي أعمال إيجابية أم أعمال سلبية وهما تؤديان دوراً بارزاً في بناء العالم الإنساني والمجتمع البشري أو تدميره. لا شك فيه بأن الأعمال الإيجابية تؤدي دورا كبيرا وفعالا في بناء أي مجتمع بشري مثالي لا يستطيع أحد أن ينكر فضلها في بناء أفضل مجتمع بشري في أنحاء العالم وكما الأعمال السلبية تدمره كاملا فينبغي لنا أن نعمل على الأعمال الإيجابية لكي نساهم في بناء المجتمع المثالي وأن نجتنب الأعمال السلبية لكي نحفظه من الهلاكة والدمار.

إن رسائل النور للشيخ بديع الزمان سعيد النورسي رحمة الله عليه والغفران هي مرآة أفكاره ومنبع آرائه و نظرياته وهي مفيدة في كل مكان وزمان بأنها تفسير عملي للقرآن الكريم. نحن نستطيع أن نستفيد من أفكاره وآرائه ونظرياته في كل مجال من الحياة الدنيوية والأخروية وننتفع به في بناء مجتمع بشري مثالي مثل المجتمع البشري في القرون الأولى.

إن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي عليه الرحمة قد قام بتعريف العمل الإيجابي والعمل السلبي وما يراد بهما في رسائله مرارا وتكرارا، والقى الضوء على فوائد العمل الإيجابي ونقائص العمل السلبي وتأثيرهما في المجتمع البشري بكل وضوح وصراحة. وهذا من الممكن الميسرلأن يُقْتَفى آراؤه وأفكاره عن العمل الإيجابي والعمل السلبي ويُستفاد من نظرياته عنهما لكي نؤدي دورنا المهم في بناء أفضل مجتمع بشري.

كما ذُكر أن الأستاذ النورسي عليه الرحمة قد قام بتعريف العمل الإيجابي والعمل

السلبي وأركانهما هنا وهناك في رسائله النيرة فيجدر بنا أن نشير إلي ما يراد الشيخ النورسي بالعمل الإيجابي في رسائل النور. يقول الدكتور مأمون جرار بهذا السدد:

"كان الأستاذ خبيرا بالتاريخ الإسلامي، مطلعا على أحداثه، وكان مطلعا على الأفكار الثورية المعاصرة التي جاءت بها الماركسية التي قامت لها دولة في الاتحاد السوفياتي والصين والبلقان، وكان مطلعا على آثارها السلبية في المجتمعات التي حكمتها، وفي البلاد التي انتشرت فيها، ولذلك اتخذ منهجا يبني ولا يهدم، يعمر ولا يدمر، يحفظ البلاد والعباد من كل أثر سلبي، ويحقق مصلحة الإنسان.

وقد حدد الأستاذ رحمه الله طريقة العمل لنشر دعوة الله بما سماه "العمل الإيجابي البناء" الذي استوحاه من القرآن الكريم، ذلك العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله، لا من شأن البشر"(قضايا وتجليات في رسائل النور، ص١٤).

ويقول في مكان آخر:

"إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي رحمه الله يعني: الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها.وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربه، يعمل لنشر دينه ونيل رضاه" (قضايا وتجليات في رسائل النور، ص١٥).

وما يراد بالعمل السلبي عند الأستاذ النورسي رحمه الله فيقول الدكتور مأمون جرار بهذا السدد:

"ومن أسس العمل الإيجابي ومرتكزاته الآية الكريمة " ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ **[الإسراء: ١٥]** فالعمل السلبي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع، يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، ويؤدي إلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب" (قضايا وتجليات في رسائل النور، ص١٦).

التعريف الأول للعمل الإيجابي:

حينما نقرأ رسائل النور فتتضح هذه الحقيقة بأن الأستاذ النورسي عليه الرحمة يتصور ويفهم أن الإيمان هو أصل كل شيئ وعليه كل شيئ يترتب ويقوم، وكما الخدمة الإيمانية

والخدمة القرآنية هما مقصودتان لكل مؤمن فكل شيئ ما يُعين وينصرفيهما فهو عمل إيجابي وكل شيئ يفسدهما ويخربهما فهو عمل سلبي وهو يكتب مجيبا عن السر والحكمة لاستعاذة أهل الحق في كل حين بالله من شر الشيطان في اللمعة الثالثة عشرة من اللمعات:

"إن الضلالة والشر بأكثريتها المطلقة شيئ عدمي وسلبي وغير أصيل، وهي إخلال وتخريب. أما الهداية والخير فهي بأكثريتها المطلقة ذات وجود وشيئ إيجابي وأصيل وهي إعمار وبناء"(اللمعات، ص١٠٠).

وهو يقول مزيدا:

"إن الخير والمحاسن والكمالات-بأكثريتها المطلقة- تستند إلى الوجود وتعود إليه، فأساسها إيجابي ووجودي، أي ذو أصالة وفاعلية، وإن بدت ظاهرا سلبية وعدمية.

وإن أساس وأصل الضلالة والشر والمصائب والمعاصي والبلايا وأمثالها من المكاره هوعدم وسلبي، وما فيها من القبح والسوء فناجمان من عدميتها، وإن بدت ظاهرا إيجابية ووجودا، لأن أساسها عدم ونفي أي بلا أساس وبلا فعل إيجابي"(اللمعات، ص١٠٣).

يبدومن المقتبسات المذكورة أن أساس العمل الإيجابي عند الأستاذ النورسي عليه الرحمة هوالإيمان والهداية وأساس العمل السلبي هوالكفر والضلالة وهويقول بهذا السدد:

"إن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا؛ لذا كانت وظيفتُه الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه. بينما الكفر يجعل الإنسان حيوانا مفترسا في غاية العجز" (الكلمات، ص٣٥٤).

ويقول في مكان آخر:

" إن الإيمان مثلما ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، فهو ينقذ دنيا كل شخص أيضا من ظلمات العدم والانعدام والعبث. بينما الكفر – ولا سيما الكفر المطلق — فإنه يُعدم ذلك الإنسان ويعدم دنياه الخاصة به بالموت، ويلقيه في ظلمات جهنم معنوية محولا لذائذ حياته آلاما وغصصا" (الكلمات، ص٥٣٢).

وهو يقوم بتعريف الكفر كما يلي:

"الكفر إساءة وتخريب وتكذيب، ولكن هذه السيئة الواحدة تُفضي إلى تحقير جميع الكائنات وازدرائها واستهجانها، وتتضمن أيضا تزييف جميع الأسماء الإلهية الحسنى وإنكارها، وتتمخض كذلك عن إهانة الإنسانية وترذيلها" (الكلمات، ص٣٦٠).

ويبين حقيقة الكفر في مكان آخر هكذا:

"...لأن الكفر والعصيان والسيئة كلَّها تخريب وعدم، ويمكن أن تترتب تخريبات هائلة وعدمات غير محدودة على أمر اعتباري وعدمي واحد (الكلمات، ص٥٣٥).

التعريف الثاني للعمل الإيجابي:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة والغفران قام بتعريف آخرللعمل الإيجابي فقرره "الجهاد المعنوي" ويراد به علينا أن نقوم بواجباتنا، ونؤدي وظائفنا فحسب، ونترك النتائج على الله، ولا نتدخل في الأمور الإلهية، ولا نتفكرعن الأمورالكونية التي لا علاقة لنا بها. وهو يقول بهذا السدد:

"إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية أي بما هو ماكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"(سيرة ذاتية ص ٤٧٠).

التعريف الثالث للعمل الإيجابي:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة والغفران قام بالتعريف الثالث للعمل الإيجابي هكذا:

"العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداءُ الآخرين أو التهوينُ من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا (اللمعات، ص٢٠٩).

وحينما نفكر على التعاريف الثلاثة للعمل الإيجابي فنجد بأنها مترابطة بعضها ببعض وأهدافها واحد وهي الفوز والفلاح للإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية وإنقاذ الإنسان و الإنسانية من الهلاكة والدمار وبناء عالم أفضل للمجتمع البشري والإنساني.

بوادر العمل الإيجابي والعمل السلبي وظواهرهما:

يتضح ما ذكرنا من تعاريف العمل الإيجابي بأنه يَتَمرْكز الإيمان والهداية فطبعا أن العمل السلبي يحيط الكفر والضلالة. إن العمل الإيجابي والعمل السلبي فلهما عدة بوادروظواهر ونسميها الأعمال الإيجابية والأعمال السلبية. وما يعد من الأعمال الإيجابية مثل الإخلاص وغير ذلك فهومن بوادرالعمل الإيجابي الأساسي، وما يعد من الأعمال السلبية كالأنانية وغير ذلك فهي من ظواهر العمل السلبي الأساسي.

ذكر الأستاذ النورسي عليه الرحمة بوادر العمل الإيجابي والعمل السلبي وظواهرهما

وأشارإلى فوائدها ومضراتها مرة بعد مرة في رسائله النيرة فإنه يحثنا بواسطة رسائله القيمة بأن نعمل على العمل الإيجابي الأساسي وظواهره الجيدة والحسنة ولا نعمل على العمل السلبي الأساسي وبوادره الرديئة والقبيحة في مجال الحياة لكي نساهم في بناء عالم أفضل من كل ناحية وننقذ العالم البشري من الهلاكة والتدمير.

إن الأستاذ النورسي يعتبر العمل الإيجابي أكبرسلاح وأفضله وأهمه في مقاومة التحديات والمشاكل المادية والمعنوية التي تواجهها البشرية اليوم وكما يعد العمل السلبي أهم سبب وأكبره لفساد البشرية وهلاكتها وتدمير المجتمع البشري فكتب في رسائله عنهما بالكثرة. هو يهتم أن يبذر بذور العمل الإيجابي في نفوس طلبة النور ويخبرهم بفوائده حينا بعد حين حتى درسهم حول العمل الإيجابي البناء قبيل وفاته وقال فيه:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله.إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقليد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي" (سيرة ذاتية ص ٤٦٩).

إن هذه العبارة ليست عبارة لأي مؤلف وليست قولا لأي قائل فحسب بل كتبها وقالها الشيخ النورسي الذي يعمل بنفسه أولا على ما يقول ويكتب، ولا ينتظر بأن يعمل عليه الآخرون. وهو من عباد الله المخلصين الذين يفعلون على ما يقولون بالصدق والإخلاص فلم تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

إن حياة الشيخ النورسي كلها مثال صادق للعمل الإيجابي وكما اجتنب كل عمل سلبي في سائر حياته ولو كان به خصاصة ظاهرا. إن الشيخ النورسي قد قضى حياته عاملا على الأعمال الإيجابية وتاركا الأعمال السلبية حتى واجه المشاكل والمصاعب الشديدة ولكن لم يصدر في سائر حياته أي عمل سلبي منه للحفاظ على الأمن والاستقرار واقتداء بالأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم وهويقول مخاطبا طلبة النور في درسه الأخير حول العمل الإيجابي البناء:

"أقول متخذا من نفسي مثالا: أنني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم، وهذا ثابت بكثير من الحوادث فمثلا: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أغر أية أهمية

على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذي كان يهددني بالشنق والإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تُبين عدم قبولي للتحكم والتسلط. إلا أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجلٍ ألاّ أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيرا في غزوة بدر وأحد.

نعم مثلا: أنني لم أدعُ بالسوء حتى على المدعي العام الذي اتخذ علينا القرار الجائر رغم أنني قد أثبت أخطاءه البالغة واحدا وثمانين خطأً. لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة.

نعم ان في مسلكنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي إتباعا لدستور الآية الكريمة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه وأحبائه. إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتا- وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة. لهذا السبب لم تشتعل نار الحروب الداخلية المخلة بنظام الأمن الداخلي في العالم الإسلامي إلا بنسبة واحد من الألف.وهذا كان من جراء الاختلاف في الاجتهاد. إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية. أي بما هو موكول إلى الله بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وأننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"(سيرة ذاتية ص ٤٦٩-٤٧٠).

وهويقول مزيدا في درسه المذكور:

".... أنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم أفتر مقدار ذرة قط. ووفّقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النورأسعى بالعمل الإيجابي وأتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم.

إننا لا نلتفت إلى الدنيا، فإذا نظرنا إليها فنحن لا نسعى سوى معاونتهم فيها، فنحن نعاونهم في تأمين الأمن بشكل إيجابي. وبسبب هذه الحقائق وأمثالها نحن نسامحهم حتى لو

عاملونا بالظلم" (سيرة ذاتية ص ٤٧١).

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة يقول ناصحا طلبة النور:

"إن المصائب الدنيوية الزائلة بالأفراح والخيرات على الأكثر.....ما ينبغي أن يصدر منا الشكوى قط بل تدفعنا هذه الأحوال الصعبة إلى أن نقول: نحن في جهاد معنوي نعتز به ونشكر ربنا الكريم لا بد أن تفضل به علينا.

إخوتي الأعزاء! إن أول ما نوصيه وآخرَه: الحفاظُ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية والغرور والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس"(الشعاعات، ص٣٤٧).

إن الشيخ النورسي عليه الرحمة يعتبر الإيمان وتربيته والدعوة إليه أساس لكل شيئ ويفضل الإيمان ويؤثره على كل شيئ حتى الجهاد الإسلامي كما يبدو من الحوار الذي حدث ووقع بين الأستاذ النورسي رحمة الله عليه والأستاذ علي أوزك – أستاذ اللغة العربية وعميد المعهد الإسلامي العالي باستانبول – وهو كما يلي:

- الأستاذ النورسي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.... وماذا يقول الأستاذ مصطفى صبري؟
- الأستاذ علي أوزك: سيدي الأستاذ يسأل الشيخ مصطفى صبري عن عدد طلابكم.
- الأستاذ النورسي: لي خمسمائة ألف طالب وخادم القرآن الكريم.
- الأستاذ علي أوزك: يقول الشيخ مصطفى صبري...إذن ماذا تنتظر؟ ولماذا لا يبدأ
- بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟
- بلّغ سلامي له أولا، ثم قل له:إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان".

وحينما رجع الأستاذ علي أوزك إلى مصر وزار الشيخ مصطفى صبري – وهو كان طريح الفراش، وقد أنهكه المرض وأدركته الشيخوخة — وحدثه ما دار بينه وبين الأستاذ النورسي رحمة الله عليه في تركيا، فاستمع له جيدا ثم قال: "حقا أن الأستاذ النورسي هو المحق، نعم إن ما قاله صدق وصواب، فقد وفقه الله في مسعاه، أما نحن فقد أخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها".

هكذا استصوب الشيخ مصطفى صبري عمل بديع الزمان وقوله (أنظر للتفصيل: سيرة

ذاتية، ص ٥٤٢).

هذا جدير بالذكر أن الشيخ مصطفى صبري هو آخر من شغل منصب "شيخ الإسلام" للدولة العثمانية، وله مؤلفات قيمة باللغة العربية مثل موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، وآثارالهجرة وترك تركيا بعد سقوط الدولة العثمانية، وسكن مصر وتوفي هناك سنة ١٩٤٥ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين رحمه الله رحمة واسعة.

إن العبارات المذكورة أعلاه فهي مرآة صادقة لحياة الشيخ النورسي ونحن نستطيع أن نرى فيها أفكاره وآراءه حول الحياة الاجتماعية ومسائلها المختلفة وكيف يُواجَهها ويُقابَلها.كما يتضح من المقتباسات المذكورة بأنه قضى سائر حياته عاملا على العمل الإيجابي– أي الإيمان والدعوة إليه والخدمة القرآنية– وبوادره من الإخلاص والصدق والوفاء وغير ذلك ومجتنبا العمل السلبي – أي الكفر و الضلالة – وظواهره من الرياء والشهرة والأنانية وغير ذلك فحياته الفيّاضة المتدفّقة نموذج لنا وللآخرين في العصر الراهن – وللأقوام الآتية في المستقبل إن شاء الله– بأن كيف نقضي حياتنا مؤديا فرائضنا وعاملا على الأعمال الإيجابية ومجتنبا الأعمال السلبية لكي نؤدي دورنا في بناء مجتمع مثالي وإنقاذ هذا العالم الكوني من الهلاكة والتدمير.

إن الأستاذ النورسي ينصح طلابه أن يقوموا بالأعمال الإيجابية وأن يجتنبوا الأعمال السلبية دائما بل هو يعتبر القيام بالأعمال السلبية ذنبا لا يغتفر وكما يحثهم على اختيار"أهون الشرين" وهو يخاطبهم:

"فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدوها من قبيل "أهون الشرين" وليقوموا بالعمل الإيجابي دائما لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفروما دام قسم من السياسين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلا لذا أنظروا إليهم كأهون الشرين، ومن أجل التلخص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم" (سيرة ذاتية ص ٤٧٣).

ويقول في مكان آخر:

"إن من الدساتير الأساسية لطلبة النور هو عدم التعرض قدر الإمكان للسياسة ولأمور الحكومة وشؤونها وإجراءتها، ذلك لأن القيام بخدمة القرآن بإخلاص يكفيهم ويُغنيهم عن أي شيئ آخر" (الشعاعات، ص٤٠٠).

وينصح طلبة النور:

"ما دامت غايتُنا محصورةً في الإيمان وفي الآخرة، وليست في الصراع والنزاع و المبارزة مع أهل الدنيا" (الشعاعات، ص٤٠٥).

ظواهر العمل الإيجابي:

إن العمل الإيجابي – من منظور رؤية الاستاذ النورسي عليه الرحمة – يتطلب ممن يعملون عليه أن تترشح من ذاتهم آثار العمل الإيجابي وظواهره من الإخلاص والحب والعفو و المسامحة والتضحية والرأفة والشفقة والاستغناء والاقتصاد والتواضع وغير ذلك.

وهناك يناسب لنا أن نذكر نبذة من آراء الاستاذ النورسي عليه الرحمة و أفكاره حول بعض ظواهر العمل الإيجابي لكي تتضح الأمور في صورة باهرة.

الإخلاص:

إن الاستاذ النورسي عليه الرحمة يتصور "الإخلاص" جزاء هاما للعمل الإيجابي وبدونه لا يَكمُل العمل الإيجابي ولا يتم.إن حياة الاستاذ النورسي عليه الرحمة صورة صادقة للإخلاص التام وهو قضى حياته مخلصا لله تعالى وطالبا رضاه فحسب لا نجد فيها أي شائبة من الرياء والسمعة. سئل منه مرة "من أين تلقيت هذا الإخلاص العجيب"؟ فأجاب تلقيته من سيد الكونين محمد ﷺ ومن أسد الإسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (أنظر للتفصيل: سيرة ذاتية ص ٤٧٤-٤٧٥).

إن الاستاذ النورسي عليه الرحمة يقول عن الإخلاص:

" ما دام الإخلاص التام هو مسلكنا. فبمقتضى الإخلاص التام لا بد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب، بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة" (سيرة ذاتية ص ٤٧٤).

وهو يقول:

"إن محورالنجاة ومدارها الإخلاص، فالفوز به إذن أمر في غاية لأن ذرةً من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة" (اللمعات، ص١٨٤).

إن الإخلاص يحتل مكانا مرموقا عند الاستاذ النورسي رحمة الله عليه فكتب عنه كثيرا حتى خصت اللمعة العشرون والحادية العشرون له فكتب فيهما مفهوم الإخلاص ومقتضاه ومداره وفوائده وغير ذلك.

الاقتصاد والقناعة:

إن الإقتصاد والقناعة هما أيضا من أهم بوادر العمل الإيجابي فينصح الاستاذ النورسي عليه الرحمة طلبة النورأن يختاروا الإقتصاد والقناعة، وأن يجتنبوا الإسراف.إن الإقتصاد و القناعة يحتلان مكانا مرموقا عنده فكتب عنهما مرارا حتى اختص اللمعة التاسعة عشرة للاقتصاد وبيّن فيها فوائده وحكمه مع ذكر الاسراف وسيئاته ونقائصه بكل وضاحة و صراحة وإليكم بعض أقوال الأستاذ النورسي حول الاقتصاد والقناعة:

- "الاقتصاد والقناعة منسجمان انسجاما تاما مع الحكمة الإلهية، إذ يتعاملان مع القوة الذائقة معاملة الحارس، يقفانها عند حدها ويكافئانها حسب تلك الوظيفة" (اللمعات، ص١٩٥).
- "الإقتصاد توقير للنعمة جميل ونافع، بينما الإسراف استخفاف بالنعمة مضرّ ومشين" (المكتوبات، ص٣٥٥).
- "أن القناعة شكران رابح، بينما الحرص كفران خاسر" (المكتوبات، ص٣٥٥).

بوادر العمل السلبي:

إن الاستاذ النورسي رحمة الله عليه ذكر العداء والحرص والحسد والغيبة والغرور والقومية والسياسة وغير ذلك من **بوادرالعمل السلبي في رسائله "النور" وحث طلبة النور أن يجتنبوه لكي يفوزوا في الدنيا والآخرة.**

وهناك يناسب لنا أن نذكر نبذة من آراء الاستاذ النورسي عليه الرحمة و أفكاره حول بعض بوادر **العمل السلبي** لكي تتضح الأمور في صورة واضحة.

السياسة:

إن الاستاذ النورسي رحمة الله عليه يعد السياسة أكبر ظواهرالعمل السلبي مطلقا ويتعوذ منها ويطلّقها تكرارا ومرارا فيقول:

"أعوذ بالله من الشيطان والسياسة لكي أحافظ على نور القرآن" (المكتوبات، ٦٢).

ويقول: "طلّقت السياسة وتجردت عن الدنيا منشغلا بأمور آخرتي" (المصدر نفسه، ص٥٨).

ويؤثرعلى السياسة خدمةَ القرآن مرة بعد مرة فيقول:

"أن خدمة القرآن لها من السمو والرفعة ما يعلو على جميع السياسات مما يجعلني أترفع

عن التدخل في السياسات الدنيوية التي يغلب عليها الكذب"(المصدر نفسه، ص٦٠)

ويقول: "إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة بم أنسَتني حتى التفكر فيها (المصدر نفسه، ص٦١).

وهذا من الممكن أن آرائه وأفكاره عن السياسة وأهلها فهي سبب إحداث الخلاف و إيقاعه بين الناس وتتباين وتتشعب آراء الناس الآخرين من آرائه وأفكاره عن السياسة وأهلها و لكن لا شك فيه بأن ما توجد من المنافع للناس في السياسة فهي ليست بأكبر من إثمها وكان الشيخ النورسي عليه الرحمة يعتبر إثمها أكبر من نفعها للناس وهو يقول مجيبا لسؤال لِمَ انسحبتَ من ميدان السياسة ولا تتقرب إليها قط؟:

"لقد خاض "سعيد القديم" غمار السياسة ما يقارب عشر السنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وأن التدخل فيها فضول- بالنسبة إليّ- فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة وأن أغلبها خداع وأكاذيب..... وإذا دخلتُ ضمن المعارضة أو السياسة المخالفة للدولة فلا بد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أوعن طريق القوة.فإن كان التدخل فكريا فليس هناك حاجة إليّ أيضا لأن الأمور واضحة جدا، والجميع يعرفون المسائل مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة. وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أُظهر المعارضة بإحداث المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه. فهناك الولوج في آلاف من الآثام والأوزار حيث يبتلي الكثيرون بجريرة شخص واحد. فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام وإلقاء الأبرياء فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات. لأجل هذا فقد ترك "سعيد القديم" السياسة ومجالسها الدنيوية وقراءة الجرائد" (المكتوبات، ص٧٩).

القومية والعنصرية:

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه يتصور"القومية والعنصرية" من أهم ظواهرالعمل السلبي ويفهمها خطرا كبيرا للمجتمع البشري فيحث الناس أن يبعدوا منهما وهويقول بهذا السدد:

"ولقد نظرت – منذ السابق- إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية نظرة السم القاتل، لأنها مرض أوروبي خبيث سار. وذلك حسب الأمر النبوي الجازم بأن الإسلام يَجُبُّ العصبية الجاهلية. ولقد ألقت أوروبا بذلك المرض الوبيل بين المسلمين ليمزّقَهم ويفرّقَهم شَذر

مَذر ليسهل عليها ابتلاعهم قِطعاً متناثرة.ولقد بذلت ما وسعني الجهد لعلاج هذا الداء الخبيث" (المكتوبات، ص٨١).

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه قسّم القومية إلى القومية السلبية و القومية الإيجابية و قام بتعريفهما وذكر فوائدهما ونقائصهما في المكتوبات (ص٤٠٠ وفيما بعد) بقدر من التفصيل.

الأنانية وحب النفس:

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه ينصح طلبة النور أن تعرضوا عن الأنانية وحب النفس بأنهما مرض شديد لكل شخص ولكل قوم وهما تمنعان عن قبول الحق والخضوع أمام رأي الآخرين وهو يقول بهذا السدد:

"فإن لهذا العصر مرضا داهما وهو الأنانية وحب النفس واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة.إن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم هو التخلي عن الأنانية وحب النفس حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلد بالإخلاص الأعظم الحقيقي" (سيرة ذاتية، ص٤٧٤).

إنه أشار إلى سبب تقوية الأنانية في اللوامع فهو يقول:

"إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي أو نُسيت تلك الغاية أو تنوسيت، تحولت الأذهان أنانيات الأفراد وحامت حولها أي يتقوى "أنا" كلِ فرد، ويتحدد ويتصلب حتى لا يمكن خرقه ليصبح"نحن"فالذين يحبون "أنا" أنفسِهم لا يحبون الآخرين حبا حقيقيا" (اللوامع مع الكلمات ص٨٣٦).

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه يحث طلبة النور أن يضحوا بأنانيتهم حتى في سبيل أصغر مسألة إيمانية ويعرض أمامهم النماذج في درسه الأخير حول "العمل الإيجابي البناء":

"فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص الأعظم الحقيقي فهناك الكثيرون ممن يضحون بأنانيتهم وبمنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية" (سيرة ذاتية، ص ٤٧٤).

إنه يوصي طلبة النور:

"إخوتي الأعزاء! إن أول ما نوصيه وآخرَه:الحفاظُ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية والغرور والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس" (الشعاعات، ص٣٤٧).

وينصح لهم:

"ويلزم على إخواننا المحافظة على قوة التساند والأخوة وذلك بإبداء التضحية، وترك الأنانية، والتوتضع قدر الإمكان" (الشعاعات، ص٣٥١).

وينبههم:

"إن أخطر جهة من الأنانية في عملنا هذا هو الحسد والغيرة، فإذا لم يكن العمل خالصا لله وحده، فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل" (المكتوبات، ص٥٤٢).

العداء:

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه يعد العداء من بوادرالعمل السلبي المهمة فهو يقول:

"أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر:الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة(المكتوبات، ص ٣٢٥).

الغرور:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة يعد الغرورأيضا من أهم ظواهرالعمل السلبي فهو يقول:

"إن غرورا رهيبا ناشئا من الغفلة وحب الدنيا، يُجري حكمَه في هذا الزمان. فعلى أهل الحق تركُ الغرور والأنانية وقصد المنافع حتى لو كان في طريق مشروع أيضا" (الشعاعات، ص٣٥٥).

الغيبة:

إن الغيبة مرض داهم في المجتمع الإنساني والقرآن الكريم قد ذكر شناعتها في سورة الحجرات: ١٢ ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

إن الأستاذ النورسي يحث طلبة النور أن يجتنبوها بأنها "مذمومة عقلاً وقلباً وإنسانية ووجداناً وفطرة وملة.....حقا إن الغيبة سلاح دنئ يستعمله المتخاصمون والحسّاد والمعاندون؛ لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سلاحاً حقيراً كهذا..... إلاّ أن الغيبة وإن كانت محرّمة فإنها تجوز في أحوال معينة.....دون أن يداخلها حظ النفس و الغرض الشخصي، بل تجوز لأجل الوصول إلى الحق وحده، و إلاّ فالغيبة تحبط الأعمال الصالحة وتأكلها كما تأكل النارُ الحطبَ" (المكتوبات، ص٣٤٢-٣٤٤).

الحرص:

إن الأستاذ النورسي يعتبر الحرص من أدهى الأمراض للمجتمع الإنساني وقال إنه يوَلّد

ثلاث نتائج:عدم القناعة، والخيبة والخسران، واتلاف الإخلاص وافساد العمل الأخروي. (أنظر للتفصيل: اللمعات، ص٢٠٢). إنه كتب عنه تكراراً ومراراً وإليكم بعض أقواله:

- "الحرص للمؤمن سبب الخيبة وقائد الحرمان والسفالة" (اللمعات، ص١٧٢).
- "أن الحرص أيضا داء كالعداء بل هو أضر على الحياة الإسلامية وأدهى عليها. نعم الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل ومهانة وذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والدناءة.

إن الشاهد القاطع على هذا الحكم على الحرص، هوما أصاب اليهود من الذلة والمسكنة و الهوان والسفالة لشدة تهالكهم على حطام الدنيا أكثر من أية أمةٍ أخرى.

والحرص يُظهر تأثيره السيئ بدءاً من أوسع دائرة في عالم الأحياء وانتهاء إلى أصغر فرد فيه، بينما السعي وراء الرزق المكلّل بالتوكل مدار الراحة والاطمئنان ويُبرز أثَره النافع في كل مكان" (المكتوبات، ص ٣٣٦).

- "أن الحرص سبب الحرمان، أما التوكل والقناعة فهما وسيلتا الرحمة والإحسان... إن كنت تحب المال حبا جما فاطلبه بالقناعة دون الحرص حتى يأتيك وافرا (المكتوبات، ص٣٣٧).

الحسد والغيرة:

أعد الأستاذ النورسي عليه الرحمة الحسد والغيرة من أخطر الأمور للناس وأشار إلى مضراته و معالجته (أنظر للتفصيل: المكتوبات، ص٣٢٩ و٣٤٢).

ثمرات عمل الأستاذ النورسي الإيجابي في تركيا:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة قد عمل على العمل الإيجابي وبوادره واجتنب العمل السلبي وظواهره بصورة فعلية في سائر حياته فترتبت انعكاساته وتأثيراته البالغة وارتسمت ملامحه وأبعاده العميقة على المجتمع التركي بصورة فعلية. استعرض الدكتور مأمون جرار في تأليفه "قضايا وتجليات في رسائل النور" ثمرات العمل الإيجابي للأستاذ النورسي في تركيا فقال:

"كان من ثمرات هذا المنهج الدعوي الذي اختطه الأستاذ النورسي رحمه الله واستمده من نورالقرآن الكريم أن جنب تركيا الوقوع في بحار من الدماء وجنبها المنهج الثوري الدموي، مع أن ما أصاب تركيا على المستوى الرسمي نوع من الكفر البواح الذي شن حربا عنيفة على الإسلام والإيمان، وقد رأى الأستاذ في أخريات حياته بداية انحسار موجات الكفر عن تركيا

بتراجع شعبية حزب الشعب الجمهوري الكمالي، وتقدم الحزب الديمقراطي الذي كان "أهون الشرين" كما وصفه الأستاذ، وها نحن نرى مسيرة الإسلام في تركيا كيف يزداد نورها يوما بعد يوم وهي تتقدم نحو مستقبل إسلامي يكتمل نهاره بإذن الله" (قضايا وتجليات في رسائل النور، ص٢٤).

في نهاية المطاف أود أن أنقل بعض أقوال الأستاذ النورسي رحمة الله عليه رحمة واسعة وفيها لنا دساتيروقوانين لحياتنا الدنيوية والأخروية. لو نعمل عليها لفزنا برب الكعبة في كل مجال الدنيا والآخرة وهو يقول:

"فيا أيها الإنسان! المبتلي بدسائس الشيطان وكيده! إن كنت ترجو سلامة حياتك الدينية وحياتك الشخصية وحياتك الاجتماعية وتطلب صحة الفكر واستقامة الرؤية وسلامة القلب، فَزِنْ أعمالك وخواطرك بموازين القرآن المحكمة والسنة المحمدية الشريفة، واجعل رائدك القرآن الكريم ومرشدك السنة النبوية الشريفة، وتَضَرّع إلى الله العلي القدير بقولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (اللمعات، ص١٢٤-١٢٥).

وهو يقول:

"أن أسعدَ إنسان هو من: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا، ولا يُضحّي بآخرته للدنيا، ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية، ولا يهدر عمره بما لا يعنيه، وينقاد للأوامر انقيادَ الضيف للمضيّف ليفتحَ باب القبر بأمان، ويدخلَ دار السعادة بسلام" (المكتوبات، ص ٩٢).

وهو يقول:

"إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء. ومعناه: أن يسعى كلُ واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجْهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا.

أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثُه الحقدُ والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بنّاء" (المكتوبات، ص ٣٢٢).

وهو يقول:

"عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وَصفَتُه الطبية هي اتّباع القرآن"

(المكتوبات، ص ٥٩١).

وهو يقول:

"لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت: أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتان فقط:

إحداهما: إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع.

والثانية: اكتسب أنتَ لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا.

والقاطع لعرق الكلمة الأولى ليس إلاّ "الزكاة". والمستأصل والدواء للكلمة الثانية ليس إلاّ "حرمة الربا"(المكتوبات، ص٥٩٥، أنظر للتفصيل: المصدر نفسه، ص٣٤٠-٣٤١).

وهو يقول:

"أن جوهر الحياة الإجتماعية الإنسانية ولا سيما للأمة الإسلامية وأساسَها هو:وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية، ووجود علاقةِ فداء نحو قومه وجنسه، ووجود التزام قوي ورابطة قوية لا تهتز مع الحقائق القرآنية التي تنقذ حياته الأبدية، ومع ناشري هذه الحقائق وأمثالها من الروابط التي تحقق أساس الحياة الاجتماعية. وإن إنكارها لا يؤدي إلاّ إلى قبول الخطر الأحمر الذي يتربص بنا في الشمال، والذي يبذر بذور الفوضى، ويحاول القضاء على الأجيال وعلى القومية، ويجمع أطفال الناس هناك ويضعهم تحت تصرفه، ويحاول إزالة شعور القرابة وشعور القومية وإفساد المدنية البشرية والحياة الاجتماعية إفسادا تاما"(الشعاعات، ص٤٣٩-٤٤٠).

وهو يقول:

"أن الدين حياة للحياة ونورها وأساسها. إحياء الدين إحياء لهذه الأمة. والإسلام هو الذي أدرك هذا. إن رقي أمتنا هو بنسبة تمسكها بالدين، وتدنيها هو بمقدار إهمالها له. هذه حقيقة تاريخية، قد تنوسيت (الكلمات، ص٨٤٧).

لو نجعل هذه الأقوال نموذجا لنا في كل مجال فسيولد مجتمع مثالي هادئ يسكن فيه كل فرد من أفراد بكل هدوء وإطمئنان وصارت الدنيا جنة حقيقة.